

«الأذريون»... وجع في قلب إيران



«مواجهات واشتباكات عنيفة بين القوات
الأمنية الإيرانية وأذريين غاضبين احتجوا على
«العنصرية الفارسية»»



■ في إبريل الماضي شهدت عدة مدن في إقليم أذربيجان الإيراني، مواجهات واشتباكات عنيفة بين القوات الأمنية الإيرانية وأتراك أذريون، خرجوا في مسيرات للاحتجاج على ما يسمونه إحدى القنوات، واعتبروه ممارسة عنصرية ضدهم. ورفع المحتجون شعارات من قبيل: «أنا تركي، لا للعنصرية الفارسية تجاه الأتراك، الموت للعنصرية الفارسية، هنا أذربيجان وليست إيران».

جاء ذلك احتجاجاً على بث قناة «إيريب ٢» مقطع فيديو يظهر فيه رجل من الأتراك الأذريين مع ابنه في فندق يتحدثان بالتركية، وهما يشكوان من رائحة الغرفة التي يقيمان فيها، غير أن موظف الاستقبال يرد عليهم بأن الرائحة منبثقة من فمهما، وأنهما ينظفان أسنانهما بفرشاة تنظيف مرحاض الفندق!

و«الأذريون» هم أكبر الشعوب غير الفارسية من حيث العدد في إيران، وهم يشكلون ما بين ٢٥ إلى ٣٠٪ من تعداد السكان في البلاد، وتعود أصولهم إلى جمهورية أذربيجان المجاورة لإيران، أحد جمهوريات «الاتحاد السوفيتي» السابق، ويعتبرون أحد الشعوب غير الفارسية الوحيدة الشيعية.

استقلال إقليم أذربيجان

يعيش الأذريون الذين يتحدثون اللغة التركية في مناطق مختلفة من إيران، ويتواجد معظمهم في شمال غرب البلاد، أي في محافظات أذربيجان الشرقية، وأردبيل، ووزنجان وأجزاء من أذربيجان الغربية، وبأعداد قليلة في محافظات أخرى مثل كردستان، وقزوين، وهمدان، وغيلان،



ومركزي. يعيش كثير من الإيرانيين الأذريين في طهران وكرج ومناطق أخرى. ويوجد أكثر من مليون أذري يسيطرون على الأسواق التجارية في العاصمة طهران وحدها.

وترى السلطات الإيرانية أن أحزاباً قومية في جمهورية أذربيجان تساند مجموعات أذرية إيرانية مستقرة في «باكو» للمطالبة بتوحيد أذربيجان الشمالية، أي جمهورية أذربيجان الحالية، وأذربيجان الجنوبية، أي ولايات أذربيجان الغربية والشرقية ووزنجان في دولة موحدة.

وفي أغسطس ٢٠١٦، شهدت المدن الأذرية في إيران، وفي مقدمتها «تبريز وأورمية» مظاهرات احتجاجية عارمة ضد التوجه العنصري المقيت في الثقافة الفارسية ضدهم، وهي العنصرية التي تظهر بين حين وآخر في الإعلام الإيراني ضد الشعوب غير الفارسية، بهدف التشويش على جذورهم التاريخية والثقافية.

وطوال تاريخهم في إيران، تعرض الأذريون للظلم والقمع من قبل أنظمة إيران المتعاقبة، ما جعلهم يقومون بعدد من الثورات والانتفاضات عبر تاريخهم المقاوم للسلطات الإيرانية، ويجهدون في تنظيم صفوفهم وتشكيل التنظيمات وإنشاء الصحف، غير أن قوة القمع الإيرانية كانت أقوى من إمكاناتهم وثوراتهم.

وقد احتجت طهران رسمياً عن طريق سفيرها في «باكو» على حكومة أذربيجان لنشرها خريطة لأذربيجان الكبرى تضم جمهورية أذربيجان والمناطق الأذرية في الداخل الإيراني ومناطق أخرى من شمال إيران يقطنها الأذريون، واتهمت إيران الحزب الحاكم في أذربيجان بنشر وتوزيع هذه الخريطة.

واشتدت التوترات بين طهران وباكو عام ٢٠١٣ على خلفية اجتماع لمجموعة أذرية تطالب باستقلال إقليم أذربيجان الإيراني في عاصمة جمهورية أذربيجان باكو، حيث أثار هذا الاجتماع غضب المسؤولين في إيران، وفي ردود الأفعال الأولى على هذا الاجتماع استدعت الخارجية الإيرانية سفير جمهورية أذربيجان في طهران واحتجت على عقده معتبرة أن الهدف منه هو تفكيك إيران وضد السيادة والوحدة الترابية للبلاد، وطالب حينها حسين شريعتمداري مستشار المرشد علي خامنئي، ومنصور حقيقت بور نائب لجنة الأمن القومي في البرلمان الإيراني بإلحاق جمهورية أذربيجان



جمهورية أذربيجان، وخاصة أن هذه المطالب لقيت تأييدا ودعمًا من داخل جمهورية أذربيجان، حيث طالب بعض أعضاء مجلس النواب الأذربيجاني في فبراير ٢٠١٢، بتغيير اسم الدولة من أذربيجان إلى أذربيجان الشمالية، للتذكير بالجزء الجنوبي المحتل من إيران، كما طالبوا بإجراء مراجعة قانونية لمعاهدات تاريخية منحت روسيا وإيران الحالية سيطرة على مناطق أذربيجانية.

وحالياً يعتبر القسم الأول ذو المطالب المتواضعة هو الأكثر رواجاً في إيران، حيث تتركز مطالبه على توسعة الحريات الثقافية، مثل التحكم المحلي في الإذاعة باللغة الأذربيجية، وقدرا أكبر من السلطة في الحكومة المحلية، وتعزيز اللغة الأذربيجية خاصة في التعليم.

وينبغي التأكيد هنا على أن الأذربيجين بحكم عددهم الكبير في إيران واتمائهم الشيعي، قادرين على إعطاء زخم أكبر لقضية الشعوب غير الفارسية، لذلك ثمة من يعتقد أن السلطات الإيرانية تخشى حراك الأذربيجانيين أكثر من حراك الشعوب الأخرى غير الفارسية في البلاد.

إغلاقها، عكس ما تفعله في الأحياء العربية من قمع المؤسسات الثقافية أو أي تحرك فكري يقوم به العرب هناك.

وتخلص التقارير إلى أن الحراك الأذربيجي قادر على إشعال شرارة التغيير في إيران إذا ما تمكن من التنسيق والعمل المشترك والمتواصل مع حراك جميع الشعوب المضطهدة داخل إيران، كما أن انتفاضة الأذربيجين سيكون لها صدى واسع وسط الشعوب الأخرى التي ستتبعها في الخروج على النظام الفارسي الذي ظلما مارس أشد أنواع القمع والظلم في حق غير الفارسيين، ورغم عدم وضوح الأحزاب والتكتلات الأذربيجية في إيران، إلا أن هذه القومية مدعومة من عدة أحزاب وجهات خارجية خاصة في جمهورية أذربيجان.

وفي هذا الصدد يمكن تقسيم المعارضة الأذربيجية للنظام الإيراني إلى قسمين رئيسيين: قسم يركز في معارضته بشكل أساسي على الحصول على الحقوق المدنية والثقافية والقومية، والمطالبة باستخدام اللغة الأذربيجانية في التعليم وفي وسائل الإعلام.

وقسم يطالب بالاستقلال عن إيران والالتحاق بالوطن الأم في

ود أذربيجان الشمالية وإقامة علاقات قوية معها وذلك بسبب الترابط اللغوي والقومي بينهما.

واستمرار الوضع السياسي والعلاقات بين الأذربيجين والحكومة على ما هو عليه حتى تفجر الغضب الأذربيجي بسبب قيام أحد الرسامين بنشر كاريكاتير ساخر ضد اللغة التركية والأذربيجية، حيث اندلعت المظاهرات عام ٢٠٠٦ بسبب رسم ساخر نشر في صحيفة «إيران» الحكومية، حمل تلميحا لاعتبار الأذربيجين «صراصير» ما جعل حكومة محمود أحمددي نجاد تضطر إلى توقيف رسام الكاريكاتير والمحرر، وتوقف إصدار الصحيفة.

ومن المعلوم أن للأذربيجين ثقلهم في إيران في كافة المجالات، ولا شك أن السلطات الإيرانية عادة تحسب لهم حسابا وتكون حذرة في التعامل معهم على خلاف باقي الشعوب غير الفارسية، لأسباب عديدة منها كثرتهم وسيطرتهم على بعض المناصب وتجددهم في المؤسسات الحكومية والرسمية والاقتصادية، لذا فقد أسسوا عشرات الصحف غير المرخصة من الجهات الحكومية، وهم يملكون مئات المؤسسات الثقافية والفكرية ودور النشر غير المرخصة، ولا تتجرأ السلطات الإيرانية على

باعتبارها ولاية إيرانية انسلخت عن جسم الامبراطورية الفارسية في أوائل القرن التاسع عشر.

والأذربيجيون رغم أن غالبيتهم من الشيعة الإثني عشرية، غير أنهم يعتبرون من أهم الشعوب التي انتفضت ولترات عديدة في وجه النظام البهلوي حتى نجحوا عام ١٩٤٥ من إقامة جمهوريتهم الديمقراطية بزعامة سيد جعفر بيشه وري الذي كان يحظى بدعم من الاتحاد السوفييتي، إلا أن انسحاب السوفييت من شمال إيران أدى إلى انهيار جمهورية أذربيجان التي لم تدم سوى عاما واحدا.

الغضب الأذربيجي.. آت

استمرت العلاقة بين الأذربيجين والنظام الإيراني على ما يرام حتى مطلع التسعينات، فبعد سقوط الاتحاد السوفييتي واستقلال الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز، ظهر نوع من التنافس بين إيران وتركيا حول تشكيل تحالفات إقليمية، وفي الوقت الذي استطاعت فيه إيران استمالة طاجيكستان إلى جانبها بحكم الروابط اللغوية المشتركة، استطاعت تركيا أيضا كسب